الكاتدرائيَّة المرقسيَّة بالإسكندريَّة
الثُّلاثاء ٢٢ أكتوبر ٢٠١٣م

عبادتُنا اللِّيتورجيَّة هي ترتيلُ عقائِدنا الإيمانيَّة

المحاضرة الأولى

الرَّاهب أثناسيوس المقاري

مقدِّمة

الإيمان بالمسيح حياتنا كلِّنا

أمثال ٨:٣٢-٣٦ / رومية ٥:١٧-٢١ / فيلبي ١:٢١ / يوحنَّا ٥:٣٩، ٤٠ ؛ ٦:٤٠ / ١يوحنا ١:١-٤ ؛ ٥:٩-١٣

يقول القدِّيس إغناطيوس الشَّهيد (٣٥-١٠٧م):
[بدون (المسيح) ليست لنا حياة حقيقيَّة] (ترالیان ٩).

[فلنكن فقط موجودين في المسيح يسوع لننال منه الحياةَ الحقيقيَّة، وخارجاً عنه لا تَدَعوا شيئاً يجذب انتباهكم!] (الرسالة إلى أفسس: ١١).

[(ليكن لنا من) نحو المسيح الإيمان والمحبَّة بدرجة كاملة، اللَّذان هما بدء الحياة ومنتهاها. **فالبدء هو الإيمان والمنتهى هي المحبَّة، وباتحادهما معًا يكونُ اللهُ حاضرًا، وبقيَّة الأمور الخاصة بالحياة الفاضلة، تتبع ذلك.** ليس أحدٌ وهو يشهد للإيمان، يُخطئ. وليس أحد وهو يقتني المحبة، يُبغض ...] (أفسس ١٤).

[لتنقضْ عليَّ أشر ويلات الشيطان، بشرط أن أمتلك يسوع المسيح] (رومية ٥).

ويقول العلاَّمة كليمندس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م):
[**البشرية كلُّها تحتاج إلى يسوع** ... وما أعظم المنفعة التي يسبغها علينا كمحبٍّ للبشر، حتى آثر أن يجعل نفسه أخاً للبشر بدلاً من أن يكون لهم سيِّداً، بل وتمادى في إحسانه حتى مات لأجلنا] (المربِّي ١:٩).

ويقول القدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم:
[**ليتنا لا نمسك فقط بالمسيح بل لنلتصق به**، لأننا إن افترقنا عنه فإننا نهلك، كما يقول: «الذين يبعدون عنك يهلكون» (مز ٧٣: ٢٧). فلنلتصق إذاً به، لنلتصق به بأعمالنا، لأنه يقول: «الذي يحفظ وصاياي فهو الذي يثبت فيَّ» (انظر يو١٤: ٢١). وهو يوحِّدنا به بأمثلة كثيرة. فانظر: إنه هو الرأس ونحن الجسد. فهل يمكن أن توجد أيةُ فجوة بين الرأس والجسد؟

إنه هو الأساس ونحن البناء. هو الكرمة ونحن الأغصان. هو العريس ونحن العروس. هو الراعي ونحن الخراف. هو الطريق ونحن السائرون فيه. نحن الهيكل وهو الساكن فينا. هو البكر ونحن إخوته. هو الوارث ونحن شركاؤه في الميراث. **هو الحياة ونحن الأحياء.** هو القيامة ونحن القائمون. هو النُّور ونحن المستنيرون. كلُّ هذه تفيد الاتحاد، ولا تترك فرصة لوجود أقل فجوة بيننا وبينه!] (العظة الثامنة في تفسير ١كو ٣: ١١).

ويقول القدِّيس أنبا مقار الكبير:
[داوم ذكرَ الاسم القدُّوس، اسم ربِّنا يسوع المسيح، فهذه هي الجوهرةُ، التي من أجلِها باع التاجرُ الحكيمُ كلَّ أهويةِ قلبِهِ واشتراها، وأخذها إلى داخلِ بيتِهِ، فوجدها أحلى من العسلِ والشَّهدِ في فمِهِ. فطوبى لذلك الإنسان الذي يحفَظُ هذه الجوهرةَ في قلبِهِ، فإنها تعطيه مكافأةً عظيمةً في مجدِ ربِّنا يسوع المسيح] (قول ٥٨).

والآن، نتكلم عن الإيمان بالمسيح في البنود التَّالية:

أوَّلاً: الإيمان بالمسيح موهبة معطاة من الله

• يوجز القدِّيس بولس الرَّسول موضوع الإيمان بالمسيح في عبارة واحدة، هي كل الإيمان وغايته، فيقول: «مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، **إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي**» (غلاطية ٢: ٢٠).

الإيمان بمحبَّة المسيح التي دفعته أن يموت من أجلي. هذا هو إيماني وإيمانك وإيمان الكنيسة كلها في عبارة واحدة. ولكن كيف أمكن للقدِّيس بولس أن يُدرك هذا السِّر؟

يقول القدِّيس بولس الرَّسول: «إن كنتم قد سمعتم بتدبير نعمةِ الله المعطاة لي لأجلكم، أنه **بإعلان عرَّفني بالسِّر**. كما سبقتُ فكتبتُ بالإيجاز، الذي بحسبه حينما تقرأونه، تقدرون أن تفهموا درايتي بسرِّ المسيح» (أفسس ٣:٢–٤).

ويقول أيضاً: «... ذاكراً إيَّاكم في صلواتي، **كي يعطيكم** إلهُ ربِّنا يسوعَ المسيح أبو المجد، **روحَ الحكمة والإعلانِ في معرفته**، مستنيرةً عيونُ أذهانكم τῆς καρδίας ὑμῶν (أي قلوبكم)، لتعلموا ما هو رجاءُ دعوته (أي: لتعلموا ما في دعوته من رجاء)، وما هو غنى مجدِ ميراثه في القدِّيسين (أي: الذي جعله للقدِّيسين)، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا (أي: المُعلنة لنا) نحن المؤمنين، حسب عمل شدَّة قوَّته الذي عمله في المسيح ... الخ» (أفسس ١٦:١–٢٠).

ويقول أيضاً: «بسبب هذا، أحني ركبتيَّ لدي أبي ربِّنا يسوع المسيح، الذي منه تُسمَّى كلُّ عشيرة في السَّموات وعلى الأرض، **لكي يعطيكم بحسب غنى مجده**، أن تتأيَّدوا بالقوَّة بروحه في الإنسان الباطن، **ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متأصِّلون ومتأسِّسون في المحبَّة، حتى تستطيعوا أن تُدركوا** ...» (أفسس ١٤:٣–١٩).

ويقول أيضاً: «كلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانيَّة المقنع، بل ببرهان الرُّوح والقوَّة» (١كورنثوس ٤:٢).

• فمعرفة الله ومعرفة أسراره، توهب لنا بروح الله. «لأنَّ أمورَ الله لا يعرفُها أحدٌ إلاَّ روحُ الله. ونحن لم نأخذ روحَ العالم، بل الرُّوحَ الذي من الله، لنعرفَ الأشياءَ الموهوبة لنا من الله، التي نتكلَّم بها أيضاً، لا بأقوال تُعلِّمُها حكمةٌ إنسانيَّة، **بل بما يُعلِّمُه الرُّوح القُدُس** ... لأنه من عَرَفَ فكرَ الرَّب فيُعلِّمَه، وأمَّا نحن فلنا فكرُ المسيح» (١كورنثوس ١١:٢– ١٦).

هذا هو «روحُ الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه و لا يعرفه و أمَّا أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم» (يوحنَّا ١٧:١٤).

يقول السيِّد المسيح: «لا يقدر أحد أن يُقبل إليَّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني، وأنا أقيمه في اليَوم الأخير» (يوحنَّا ٤٤:٦). «فنادى يسوع وقال: الذي يؤمن بي، ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني» (يوحنَّا ٤٤:١٢).

ويقول بولس الرَّسول: «قد وُهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألَّموا لأجله» (فيلبي ٢٩:١).

• إذاً فإيماننا بالمسيح هو موهبة معطاة لنا من الله الآب نفسه. فتقول المراسيم الرَّسوليَّة (٩:١:٨، ١٠): '' ليس أحدٌ من النَّاس آمن بالله بالمسيح، و لم ينل موهبة روحانيَّة[1] لأنَّ الحريَّة من نفاق خدمة كثرة الآلهة، والإيمان بالله الآب بالمسيح، **هي موهبة من الله''**. وتضيف أيضاً (١٠:٢:٨) بقولها: ''لذلك إن كان بينكم امرأة أو رَجُل، **قد نال هذه النِّعمة**، فليبق متَّضعاً، لكي يَرضى الله عليه، كما قيل: «إلى هذا أنظر، إلى المسكين، والمنسحق الرُّوح، والمرتعد من كلامي»[2]''.

وتقول المراسيم الرَّسوليَّة أيضاً في نصِّ صلاة الأُسقُف على الموعوظين (١٢:٦:٨، ١٣) ''اطَّلع الآن على عبيدك القابلين إنجيل مسيحك، وأعطهم قلباً جديداً، وجدِّد في أحشائهم روحاً مستقيماً، ليعرفوا ويعملوا مشيئتك بكلِّ القلب، وبرضى النَّفْس. أهِّلهم للتَّعليم السِّرِّي المقدَّس، للدُّخول إلى الإيمان. ووحِّدهم في كنيستك المقدَّسة، **واجعلهم شركاء أسرارك الإلهيَّة، بيسوع المسيح رجائنا، الذي مات لأجلهم**، الذي به لك المجد والتَّبجيل في الرُّوح القُدُس، إلى الآباد آمين''.

١– رومية ١١:١
٢– إشعياء ٢:٦٦

ثانياً: الإيمان بالمسيح، وارتباطه بالتَّقوى التي كمالُها المحبَّة

• مفهوم التَّقوى عند البابا أثناسيوس الرَّسولي وعند آباء الكنيسة، وكيف تُقتنى

التَّقوى εὐσέβεια كلمة مهمَّة من كلمات كتاب العهد الجديد، وردت هي ومرادفاتها حوالي ٢٢ مرَّة. والفعل منها وهو εὐσεβέω يعني: ''يتَّقي أو يوقِّر''[٣].

والكلمة اليونانيَّة εὐσέβεια تعني: ''تقوى'' Piety وتعني أيضاً ''معتَقد أو إيمان'' Religion [٤]. لذلك فقد اقترنت التَّقوى بالإيمان اقتراناً شديدا، فالتَّقوى بدون الإيمان الصَّحيح لا تفيد شيئاً، وليس هناك إيمان صحيح بدون تقوى. ولكن لم تُترجم هذه الكلمة إلى معنى ''الإيمان'' في كتاب العهد الجديد، بل تُرجمت فقط إلى معنى ''التَّقوى''. فحين يتكلَّم القدِّيس بولس عن أنَّ التَّعليم الصَّحيح في الكنيسة هو التَّعليم الذي بحسب التَّقوى[٥]، فهو يعني التَّعليم الذي بحسب الإيمان. ويذكر أيضاً أنه عبدُ الله ورسولُ يسوع المسيح، من أجل غاية عظمى، هي إيمان المختارين من الله، ومعرفة الحق الذي هو بحسب التَّقوى[٦]، أي معرفة الحق الذي بحسب الإيمان. ويوصينا أن نعيش بالتَّعقُّل والبر والتَّقوى[٧]، وأن نتبع البر والتَّقوى والإيمان[٨]. ولاحظ هنا أنه يُقرن التَّقوى بالبر والإيمان.

ويتَّضح لنا جيِّداً معنى هذه الكلمة من قول الرَّسول بولس إنَّ ''**سرّ التَّقوى**'' هو ظُهور الله في الجسد، وشهادة الرُّوح لبرِّه، ورؤية الملائكة له، والكرازة به بين الأُمم، والإيمان به في العالم، وارتفاعه في المجد[٩]. وهو نفس المعنى الذي انتقل إلى النُّصوص اللّيتورجيَّة في قول القُدَّاس الإلهي: ''ووضع لنا هذا السِّرَّ العظيم الذي للتَّقوى''. والمقصود هنا بسرِّ التَّقوى سواء كتابياً في الآية السَّابق ذكرها، أو ليتورجيًّا، هو ''سرُّ الإيمان''.

والقدِّيس بطرس الرَّسول، يدعونا أن نعيش بسيرة مقدَّسة وتقوى[١٠]. ويرتقي بمفهوم التَّقوى إلى أهميَّة الحياة نفسها، وأنها عطيَّة الله لنا، أي هبة الله لنا، فيقول: إنَّ «قدرته الإلهيَّة قد وهبت لنا كلَّ ما هو للحياة والتَّقوى ... الخ» (٢ بطرس ١:٣).

ويُنهي البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) على أيَّة ازدواجيَّة في مفهوم هذه الكلمة، إذ أنَّ عِلمَ اللاَّهوت θεολογία أو تعليمَ الإيمان عنده، مرتبط أشد الارتباط بالتَّقوى، لأنه يقوم أساساً على **قداسة السِّيرة مع إلهام وإعلان من الله**. فبدون القداسة لا نستطيع أن نفهم ما أعلنه الله للقدِّيسين.

ففي قول مهم له يشرح فيه هذا الأمر، يقول:

[إنَّ العقيدة والتَّقوى مرتبطتَين كمثل أُختَين. فالذي يؤمن بالله يصير تقياً. وكذلك الإنسان التَّقي يكون له إيمان أقوى. لذلك فالذي يصنع الإثم يضل أيضاً بلا شك من جهة الإيمان. و**الذي يترك التَّقوى، يفقد أيضاً الإيمانَ القويم**][١١].

ويقول أيضاً:

[إنَّ تسليمَ اللاَّهوت (أي تسليم المعرفة اللاَّهوتيَّة) لا يمكن أن يكون بالبراهين الكلاميَّة، بل بالإيمان،

٣- انظر: أعمال ٢٣:١٧ ؛ ١ تيموثاوس ٤:٥

4- Cf. Liddell & Scott, *Greek English Lexicon*, p. 332.

٥- انظر: ١ تيموثاوس ٣:٦
٦- انظر: تيطس ١:١
٧- انظر: تيطس ١٢:٢
٨- انظر: ١تيموثاوس ١١:٦
٩- انظر: ١تيموثاوس ١٦:٣
١٠- انظر: انظر: ٢ بطرس ١١:٣
١١- رسالة فصحيَّة ٩:١١ *N. P. N. F.* 546

وبأفكار التَّقوى مع الوقار][١٢].

ويقول أيضاً:

[إنَّ تفتيش الكُتُب، ومعرفتها المعرفة الحقيقيَّة، يتطلبان حياة فاضلة، ونفساً طاهرة، والفضيلة التي بالمسيح. حتى إذا ما استرشد بها العقل، وأنار بها طريقه، استطاع أن يصل إلى ما يصبو إليه، ويدركه **حسبما تستطيع الطَّبيعة البشريَّة أن تتعلَّمه عن كلمة الله.**

لأنه بدون الذِّهن النَّقي. ومماثلة سيرة القدِّيسين، لا يستطيع الإنسان أن يُدرك أقوال القدِّيسين.

إذاً كما أنه إن أراد أحد أن يبصر نورَ الشمس، فإنَّ عليه أن يمسح عينيه، ويُجليهما، مطهِّراً نفسَه على مثال ما يبتغيه، حتى إذا ما استنارت العين، استطاعت أن تُبصر نورَ الشَّمس. أو كما أنه إن أراد أحد أن يرى مدينة أو قرية، وجب عليه أن يأتي إليها لكي يراها، هكذا أيضاً يجب على من يريد أن يُدرك فكرَ الذين يتكلَّمون عن الله، أن يبدأ بغسل وتنظيف نفسه، بتغيير مجرى حياته، **ويقترب إلى القدِّيسين أنفسهم بالاقتداء بأعمالهم، حتى إذا ما اشترك معهم في السُّلوك في الحياة المشتركة، استطاع أن يفهم هو أيضاً ما أعلَنه الله لهم،** ومن ثمَّ – إذ يكون قد ارتبط بهم ارتباطاً وثيقاً – ينجو من خطر الخطأة ونارِهم في يوم الدَّينونة، وينال ما أُعد للقدِّيسين في ملكوت السَّموات «ما لم تر عين و لم تسمع به أُذُن و لم يخطر على بال إنسان»[١٣] ما أُعد للذين يعيشون حياة فاضلة، ويحبُّون الله الآب في المسيح يسوع ربِّنا، الذي به ومعه يليق للآب نفسه، مع الابن نفسه، في الرُّوح القُدُس، الكرامة والقوَّة والمجد إلى أبد الآبدين، آمين] (تجسد الكلمة ٥٧:١-٣).

[إنَّ نقاوة النَّفْس، تؤهِّلُها لتتأمَّل الله داخلها، كما يقول الرَّب: «طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله»][١٤].

[إن ما سُلِّم بالإيمان، لا ينبغي أن يُفحص بالحكمة البشريَّة، بل أن يُقبَل بخبر الإيمان][١٥].

(١) **تقوانا هي بسبب اتحادِنا بالمسيح وثباتِنا فيه**

فالمسيح له المجد هو حياتُنا وقيامتُنا. وعلاقتنا الكيانيَّة بالمسيح هي حجر الأساس، الذي بدونه ينهدم صرحُ الإيمان كلُّه، بل ويبطُل خلاصُنا. أي أنَّ السيِّد المسيح ليس مجرَّد معلِّم للأخلاقيَّات والدِّين، نتعلَّم منه من الخارج. وهو ما يوجزه القدِّيس بولس الرَّسول بقوله: «لأنكم قد مُتم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله» (كولوسي ٣:٣). وأيضا: «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأشياء صالحة سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها» (أفسس ١٠:٢).

ويقول البابا أثناسيوس تعقيباً على قول القدِّيس بولس الرَّسول:

«لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأشياء صالحة سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها» (أفسس ١٠:٢).

[إن كنَّا لسنا نحن «المخلوقين فيه (أي في المسيح)»، فنحن بالتَّالي لا نقتنيه داخلنا بل خارجاً عنَّا. وبذلك يكون لنا كمجرَّد معلِّم نتعلَّم منه من خارج ... لو كان الأمر كذلك – أي لو كان المسيح مجرَّد معلِّم يُعلِّمنا من الخارج – لكانت إذاً الخطيئة لا تزال تملك على الجسد كما كانت من قبل. ولكنَّ الرَّسول يعارض مثل هذه الأفكار قائلاً: «نحن عملُه مخلوقين في المسيح يسوع» (أفسس ١٠:٢). فإن كنَّا في المسيح قد خُلقنا، فليس إذاً هو في ذاته المخلوق، بل نحن المخلوقين فيه][١٦].

[فهو (أي المسيح) نفسه الذي يقدِّس كلَّ شيء للآب: «من أجلهم أقدِّس أنا ذاتي» (يوحنَّا ١٩:١٧) ليس بمعنى

١٢– رسائل القدِّيس أثناسيوس عن الرُّوح القُدُس، ٢٠:١ *PG* 26, 577
١٣– ١كورنثوس ٢ : ٩
١٤– ضد الوثنيِّين ٤:٢ *N. P. N. F.* 5
١٥– رسائل القدِّيس أثناسيوس عن الرُّوح القُدُس، ١٧:١ *PG* 26, 569
١٦– ضد الأريوسيِّين ٥٦:٢ *N. P. N. F.* 378

أنَّ ''الكلمة'' يمكن أن يزداد في القداسة، بل بمعنى أنه هو نفسه يقدِّسنا نحن جميعاً في ذاته][١٧].

• ويقول الشَّهيد إغناطيوس الأنطاكي (٣٥-١٠٧م)، إنَّ الإيمان بجسد المسيح[١٨] وروحه، (أي بالمسيح الذي صار إنساناً من أجلنا) هو أساس بُنيان العهد الجديد، وأخلاق المسيحيِّين الأوَّلين، إذ أنَّ حياة المحبَّة اللاَّأنانية والجهاد النَّاجح ضدَّ قوى الموت والشيطان، مستحيلان بدون الاتحاد بجسد المسيح (أي في سرّ الإفخارستيَّا)، المعطي الحياة والقائم من بين الأموات.

[الإيمان والمحبَّة هما كلُّ شيء، ولا يفضلهما شيء] (أزمير ٦).

وكان أنبا أنطونيوس يقول باستمرار لكلِّ الآتين إليه، هذه الوصيَّة:
[آمنوا بالرَّب وأحبُّوه][١٩].

• والمحبَّة هي كمال التَّقوى، وهي عند القدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم، أفضل من الاستشهاد. فيقول:
[أنا أعلم يقيناً، أنه **ليس شيءٌ أعظم من المحبَّة، أو حتى يساويها، ولا حتى الاستشهاد الذي هو رأسُ جميع الخيرات**. كيف ذلك؟ اسمع ما سأقوله: المحبَّة بدون الاستشهاد تصنع تلاميذَ للمسيح، لكن الاستشهاد خلواً من المحبَّة لا يقوى على عمل ذلك. ومن أين الدَّليل على ذلك؟ من ذات كلمات المسيح، إذ قال لتلاميذه: «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي، إن كان لكم حبٌّ بعضكم لبعض» (يو١٣: ٣٥). هوذا المحبَّة بدون استشهاد تصنع تلاميذ! وأمَّا أنَّ الاستشهاد بدون محبَّة، ليس فقط لا يصنع تلاميذ، بل ولا يفيد شيئاً للذين يتألَّمون، فاسمع ما يقوله بولس: «وإن سلَّمتُ جسدي حتى أَحترِق ولكن ليس لي محبَّة، فلا أنتفع شيئاً» (١كو١٣: ٣)] (مديح لقديسي رومية: ١).

ويذكر البابا أثناسيوس الرَّسولي عن الأنبا أنطونيوس، فيقول:
[الرَّب أعطى أنطونيوس نعمة في الكلام، حتى أنه عزَّى كثيرين من الحزانى، ووحَّد بين المتخالفين. **وكان يُناشد الجميع بأن لا يُفضِّلوا شيئاً مِمَّا في العالم على محبَّة المسيح**. بل كان يُحثُّهم وينصحهم بأن يتفكَّروا في الخيرات العتيدة ويذكروا محبَّة الله للبشريَّة التي أظهرها نحونا، إذ « لم يُشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين» (رو٨:٣٢)] (سيرة أنطونيوس بقلم أثناسيوس الرسولي: ١٤).

ويقول أنبا أنطونيوس:
[والآن يا أحبائي في المسيح، أنا أعلم أنكم تحبُّون الله، فاحرصوا أن يكون ذلك من كلِّ قلوبكم ... **لأنَّ حلاوة حُب الله أحلى من الشَّهد!**][٢٠].

ولنذكُر أنَّ الذي يُحب الوالد، يحب المولود منه أيضاً[٢١]. لأنه «إن قال أحدٌ إني أحبُّ الله وأبغض أخاه فهو كاذب، لأنَّ من لا يُحب أخاه الذي أبصره، كيف يقدر أن يُحب الله الذي لم يبصره؟ ولنا هذه الوصيَّة منه، أنَّ من يحب الله، يُحب أخاه أيضاً» (١يوحنا ٤:٢٠، ٢١).

ويقول القدِّيس إيسيذوروس الفرمي:
[**لا يوجد أيُّ شيء يمكن تفضيله على المحبَّة**، فالمحبَّة هي التي تجمع الكُل معاً وتحفظ الكُل في توافق جزيل النَّفع] (الرسالة ١: ١٠ إلى يوساب القس).

ويوضح لنا الأنبا مقار أمراً مهماً، فيقول في خطابه الوداعي قبل نياحته:

١٧- ضد الأريوسيِّين ١:٤١ *N. P. N. F.* 330
١٨- يؤكد الشَّهيد إغناطيوس هنا على حقيقة التَّجسُّد.
١٩- سيرة أنطونيوس بقلم البابا أثناسيوس الرَّسولي ٥٥
٢٠- رسالة ٩:١، ٢ في الترجمة العربية القديمة. وتقابل الرِّسالة الثانية لآموناس في الترجمة اليونانية القديمة.
٢١- انظر: ١يوحنا ٥:١

[اعلموا يا إخوتي، هذه الحقيقة: إنَّ في قلب الإنسان ''سراً إلهياً''. فمتى كان قلب الإنسان غير نقي، ونيتُه غير صافية من نحو أخيه أو صاحبه، فلابد وبكلِّ ضرورة أنَّ قلب أخيه يحس بذلك، مهما حاول هو أن يتجمَّل بلسانه نحوه. وكذلك أيضاً من جهة المحبَّة، إذا كان قلب أخيك يحبُّك، فلابد أن قلبك يستشعر بذلك وتحبُّـــه. لـــذلك احرصوا بكلِّ جهد، أن لا يتغيَّر قلبُ أحد منكم على صاحبه].

(٢) التَّقوى مرادفة للتَّأمُّل في الكتاب المقدَّس

فالتَّأمُّل ليس مجرَّد دراسة فكريَّة نظريَّة، ولكنَّه يؤول بالضَّرورة إلى الممارسة العمليَّة التَّقويَّة لجميع أوجه الفضيلة.

فيقول البابا أثناسيوس:

[**الذي يتأمَّل حياة الرَّب البشريَّة، لا يعوزه شيءٌ من الفضيلة**. وقد أدرك بولس ذلك جيِّداً إذ قال: «كونوا متمثِّلين بي كما أني أنا أيضاً بالمسيح» (١كورنثوس ١١:١). إنَّ مشرعي الأُمم لا يعرفون إلاَّ أن يضعوا التَّشريعات فقط. وأمَّا الرَّبُّ الذي هو سيِّدُ الكون كلِّه، فبسبب عنايته بخليقته، لم يكتف بأن يضع لها النَّواميس، بل قدَّم نفسه أيضاً مثالاً لها، حتى يتعلَّم منه طالبوا الفضيلة، كيف ينبغي أن يسلكوا][٢٢].

ويقول القدِّيس غريغوريوس النَّزينزي (٣٢٩-٣٨٩م) عن البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م):

[إنه جمع التَّأمُّل بالسُّلوك، كما برباط ذهبي].

وعن أهميَّة التَّأمُّل في كلمة الرَّب في أوَّل كلِّ يوم، أي في باكر كلِّ يوم، بحسب تقليد الكنيسة القديم جدًّا، تقول قوانين هيبوليتس (١:٢٦-٣، ١:٢٧) والتي تعود إلى أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السَّادس الميلادي: ''إذا كانت مفاوضـــة في بيعة لأجل كلام الله، فليُسرع كلُّ واحد ويجتمع إليه. وليعلموا أنَّ الأفضل لهم أن يسمعوا كلام الله أكثر من كلِّ افتخار هذا العالم. وليحسبوا أنها خَسارةٌ عظيمة لهم، إذا عاقتهم ضرورة عن أن يسمعوا كلام الله، بل ليتفرَّغوا للكنيسة مرَّات كـــثيرة، ليقدروا أن يُخرجوا الحقد الذي للعدو ... والذين يحرِّكهم العقل في البيت، فإنهم لا يغفلون عمَّا سمعوه في الكنيسة. لأجـــل هذا؛ فليهتم كلُّ واحد بأن يمضي إلى الكنيسة في كلِّ الأيام التي تكون فيها الصَّلوات. وفي اليَوم الذي لا يُصـــلُّون فيـــه في الكنيسة، فلتأخذ كتاباً وتقرأ فيه، **ولتنظر الشَّمس الكتابَ على رجليك في كلِّ الغدوات**''.

• نشأ البابا أثناسيوس داخل الكنيسة متمسِّكاً بتقليدها. وكان يعتز بأنه يفهم الأسفار المقدَّسة فهماً كنسيًّا، أي فهمـــاً يتوافق مع تقليد الكنيسة الأولى الذي استلمته من الرَّب. فيقول:

[لنتأمَّل إذاً في **تقليد الكنيسة الجامعة منذ البدء وتعاليمها وإيمانها** التي أعطاها الرَّب وكرز بها الرُّسُل وحفظها الآباء. على هذه تأسَّست الكنيسة. ومن يسقط من هذه لا يُعتبر بل ولا يكون مسيحيًّا][٢٣].

وهنا يتَّضح لنا تماماً، وبحسب تعليم البابا أثناسيوس الرَّسولي، أنَّ تقليد الكنيسة وتعليمها وإيمانها، يرتكز على دعـــامتين أساسيَّتين، هما الكتاب المقدَّس، تعليم الآباء. ولا يمكن أن يقوم تقليد الكنيسة على واحد منهما فقط.

(٣) التَّقوى تكون بالتَّلمذة على مُعلِّم

فلقد تتلمذ في شبابه على القدِّيس الأنبا أنطونيوس، ممَّا جعل حياة أنطونيوس أحد المصادر الهامة جدًّا التي ظلَّت تنضح على أفكار وسلوك أثناسيوس كلَّ أيام حياته. ولذلك لم يجد أفضل من قلالي الرُّهبان، ليقضي فيها معظم أوقات هروبه مـــن وجه الأريوسيِّين. فيقول:

٢٢- الرِّسالة إلى مارسللينوس عن المزامير ١٣

٢٣- رسائل القدِّيس أثناسيوس عن الرُّوح القُدُس، ١:٢٨ *PG*. 26, 593, 596

[لقد رأيتُ أنطونيوس مراراً، وتعلَّمتُ منه. لأنني لازمته زمناً طويلاً، وسكبتُ ماءً على يديه][٢٤].

ويقول عنه أيضاً:

[كان طيِّباً متواضع الرُّوح ... كانت طلعته تنمُّ عن نعمة عظيمة وعجيبة، وهذه النِّعمة أُعطيت له من المُخلِّص. ومع أنه لم يتميَّز عن الباقين في الطُّول أو العرض، إلاَّ أنه تميَّز عنهم في رصانة الأخلاق وطهارة النَّفْس. لأنَّ نفسه كانت قد خلت من كلِّ شائبة، فصارت هيئته الخارجيَّة هادئة. وهكذا حصل من فرح نفسه على طلعة بهجة. وكانت تتبيَّن حالةُ روحه من حركات جسمه ... كانت نفسه في سلام، ولم يكن ذليل النَّفس أبداً، إذ كان قلبُه جزلاً][٢٥].

ويقول الأنبا أنطونيوس:

[الأبناء الحقيقيُّون علموا أنهم لا يستطيعون أن يروا شيئاً من القوَّات، **إن لم ينالوا البركة من آبائهم. ولهذا بذلوا الاجتهاد في الطَّاعة وطلب البركة من آبائهم**، لكي ببركاتهم يستحقُّون أن ينظروا الأجناد والملائكة، وبنظرهم، يثبتون بلا اضطراب في جميع الأشياء] (الرِّسالة ١٤:١).

ويقول القدِّيس أنبا أنطونيوس أيضاً:

[نفسُ الإنسان، إذا لم يكن فرحُ الله فيها، فإنها توجد مريضة ومطروحة بجراحات خبيثة. **فإذا هي اجتهدت في طلب إنسان خادم لله وعارف بالطِّب الرُّوحاني، وتمسَّكتْ به، فإنه يشفيها من أوجاعها، فتقوم دُفعة أُخرى، ويعلِّمها أمور الله**. وهكذا تستعيد ذلك الفرح الذى هو طعامُها، وحينئذ تقدر أن تضاد أعداءها الذين هُم الأرواح الشِّريرة، وتغلبهم وتدوس كلَّ مشوراتهم، وتتكمَّل بالفرح] (الرِّسالة ١٨:٤).

ويقول أيضاً:

[يا أولادي الأحباء المبارَكين ... **إنكم لا تقدروا أن تتقدَّموا وتنموا بالأكثر، ولا تكمُلوا ولا تعرفوا أن تميزوا بين الخير والشر، إذا لم تسمعوا تعليم آبائكم الكاملين. لأنَّ آباءنا هكذا صنعوا باستماعهم لآبائهم وتعلُّمِهم منهم، فتقدموا ونموا وصاروا معلِّمين**، كما هو مكتوب في حكمة يشوع بن سيراخ : «تعلَّموا من آبائكم، لأنهم قد تعلموا من آبائهم» (ابن سيراخ ٨:٩). فيجب عليكم، يا أولادي الأحباء، أن تتمثَّلوا بهؤلاء الذين أطاعوا آباءهم وسمعوا لهم في كل شيء، وقد علَّمهم آباؤهم جميع أعمال الله التي تعلَّموها من آبائهم، وهم أيضاً صاروا معلِّمين لبنيهم المؤمنين الطائعين ... فالآن، يا أحبائي بالرَّب، المستقيمين بقلوبهم، إن أردتم أن تأتوا إلى قدَّام، وتنموا بزيادة، وتصيروا غير مضطَّربين بقلوبكم، ولا تقدر الشياطين أن تهزأ بكم في شيء، **فاسمعوا من آبائكم وأطيعوهم، وأنتم لا تسقطون**] (الرِّسالة ١٨:٧).

ومن سيرة أنبا أنطونيوس نقرأ:

اجتمع جماعةٌ من الآباء عند الأنبا أنطونيوس، وتباحثوا في أيِّ الفضائلِ أكمَلَ (فتكلَّموا عن الصَّوم والسَّهر والصَّلاة والزُّهد والرَّحمة ... الخ) فقالَ لهم الأنبا أنطونيوس إنَّ كلَّ هذه الفضائل بدون الإفراز ربما تودي بهلاك الكثيرين، لأنهم لم يستعملوا الإفراز. ثمَّ قال: [... بخصوص الإفرازِ يُحذِّرُ الربُّ قائلاً: اِحْذَر لئلا يكونَ النورُ الذي فيك ظلاماً. فبالإفراز يفحصُ الإنسانُ مشيئاتِه وأقوالَه وأعمالَه. وبالإفراز أيضاً يفهمُ الإنسانُ الأمورَ ويُمَيِّزُ جيِّدَها من رديئها ... والربُّ يُسمِّي الإفرازَ رُبَّاناً ومدبِّراً لسفينةِ حياتِنا. والكتابُ يقولُ: إنَّ الذين ليس لهم مدبِّرٌ يسقطون مثلَ الورق من الشَّجَر. وأيضاً يقولُ الكتابُ: كَمِثلِ مدينةٍ غيرِ محصَّنةٍ وكلُّ مَن أرادَ دَخلها وأخذَ كنوزَها، كذلك الإنسانُ الذي يعملُ أمورَه بغيرِ مشورةٍ] (بستان الرُّهبان، قول ٣٢).

٢٤- حياة أنطونيوس، بقلم البابا أثناسيوس الرَّسولي، المقدمة.

٢٥- نفس المرجع، ٦٧

[قيل عن تلميذٍ كان مع أبيه في زمانِ قتلِ المؤمنين، فأراد أبوه هذا أن يُجرِّبَ فكرَه، فقال له: «يا ابني لعلك تشاء أن تصيرَ شهيداً فاذهب». وكان الأخُ يهوى ذلك، ولكنه لم يُطِع هواه فيذهب، بل قال للشيخ: «يا أبي، حتى ولو صرتُ فوق رتبةِ الشهداء، لكن بركتَك لي كلَّ يوم أفضل». فلما نظر الله إيمانَه في شيخهِ، جعل صوتاً يقول له: «لأجل إيمانك في أبيك، ها أنا أحسبُك في مجمعِ الشهداء وطقسِ القديسين»] (بستان الرُّهبان، قول ١١٢٧).

[سأل أخٌ شيخاً: «يا أبي، إنَّ لي خمساً وعشرين سنةً أخدمُ فيها شيخاً، ولكنَّه قد ثقُل عليَّ الآن، لذلك فإني أريدُ أن أتركَه». فقال له الشيخُ: «هو ذا قد صار لك خمسٌ وعشرون سنةً تحت شجرةِ الحياةِ، وأنت تأكل من ثمرِها، وتريد الآن أن تأكلَ من الزَّوانِ، إذا كنتَ تريد ترك الشَّيخ. لأنَّ شجرةَ الحياة التي بها تعيش، هي كلمةُ اللهِ التي تسمعها من أبيك، والزَّوان هو أفكارُ إبليس، تلك التي إذا قبلتها، تجعلك غريباً من شجرةِ الحياةِ»] (بستان الرُّهبان، قول ١١٢٨).

ويقول القدِّيس أنبا مقار الكبير في خطابه الوداعي قبل نياحته:

[يا أولادي الأحبَّاء، كثيرة هي أمجاد القدِّيسين، وينبغي لنا أن نغير من أجلها، ونعرف تدبيرهم وعملهم، ونفتش لنعرف كيف استحقوا الملكوت، ونالوا النعيم في تلك الرُّتبة، لأنهم لم يشتروها بمال، **بل كما تحقَّقناه منهم، أنهم اقتفوا فقط آثار القدِّيسين الذين قبلِهم** ... لنجتهد لنتشبَّه دائماً بالصَّالحين لئلاَّ نندم عندما نجدهم في النِّهاية في مجد عظيم، فنبدأ نلوم أنفسنا قائلين: يا ليتنا كنا سلمنا أنفسنا للموت في الجهاد، حتى نرث هذه النِّعمة مثلهم ... أيُّ شيء كان لهم وليس هو لنا؟].

ويقول أنبا مقار الكبير أيضاً:

[بالحقيقة يا أولادي الأحباء، إنَّ نفسي مبهوتة وروحي ساهية، كوننا جميعاً قد أُعطينا حريَّة الاختيار لنعمل أعمالَ القدِّيسين، ونحن قد سكرنا بالأوجاع، مثل قوم سكروا من تلذُّذ الخمر، ولم نُرد أن نرفع عقولَنا لطلب المجد السَّمائي، ولم نماثل أعمال جميع القدِّيسين، **ولم نتبع آثارهم لنرث معهم المجد الأبدي**] (رسالة ٥:٤).

يقول سفر يشوع بن سيراخ: «أيها الرَّب الأب، يا إلهي حياتي، لا تتركني ومشورة شفتي ولا تدعني أسقط بهما» (سيراخ ٢٣:٤).
«لا تعمل شيئاً بغير مشورة، فلا تندم على عملك» (سيراخ ٣٢:٢٤).
«الكلام مبدأُ كلِّ عمل، والمشورة قبل الفعل» (سيراخ ٣٧:٢٠).

ثالثاً: الإيمانُ بالمسيح، وارتباطُهُ بالعبادة اللِّيتورجيَّة في الكنيسة

- **المسيح والكنيسة عند البابا أثناسيوس الرَّسولي صنوان لا يفترقان**

لم يكن البابا أثناسيوس الرَّسولي يفرِّق قط بين المسيح وبين الكنيسة. فعلاقته بالمسيح كانت هي نفسها علاقته بالكنيسة، ذلك لأنَّ الكنيسة هي جسد المسيح، والمسيح هو رأس الكنيسة. ولا يمكن فصل الرأس عن الجسد.

يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[لقد وعد الرَّب قائلاً: «أنا هو خُبز الحياة. من يُقبل إليَّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلن يعطش أبداً» (يوحنَّا ٦:٣٥). فإننا نحن أيضاً **نستحق هذه الأمور إن كنَّا فِي كلِّ حين نلتصق بمخلِّصنا** ... وإن كنَّا ندوم بقُربه ولا نبتعد منه أبداً قائلين له: «إلى من نذهب فإنَّ عندك كلامَ الحياة الأبديَّة» (يوحنَّا ٦:٦٨) ... وهكذا إذ تقتات نفوسُنا منه ههنا، نشترك مع الملائكة في تلك المائدة السَّمائيَّة الرُّوحانيَّة. ولن نكون فارغين مرفوضين مثل الخمس عذارى الجاهلات، بل بالحري ندخل مع الرَّب مثل الحكيمات اللَّواتي أحبن العريس. لأننا حينما نُظهر إماتة

يسوع في أجسادنا، فحينئذ ننال منه الحياة والملكوت][٢٦].

ويقول أيضاً:

[يا إخوتي، إنَّ هذا الخُبز (خُبز الإفخارستيَّا) لا يكون ههنا فقط طعاماً للأبرار. فليس القدِّيسون على الأرض فقط يتذوَّقون هذا الخُبز وهذا الدَّم، بل إننا سنتناولهما أيضاً في السَّماء، حيث يكون الرَّب نفسه هو طعام الأرواح العُليا والملائكة. فهو الفَرَح الحقيقي لجميع الأرواح السَّمائيَّة ... فمنذ الآن قد أعطانا الرَّب «خُبزَ الملائكة» (مزمور ٢٥:٧٨) ... فمن يُحسب أهلاً لهذا المحفل؟ ومن يسعد بأن يُدعى ويُحسب أهلاً لهذا العيد الإلهي؟ بالحق «طوبى لمن يأكل خُبزاً في ملكوت الله» (لوقا ١٥:١٤)][٢٧].

- **الكنيسة هي الطَّريق الوحيد للوصول إلى المسيح**

وذلك بأسرارها المقدَّسة التي تنقل إلينا موت وقيامة وحياة المسيح فينا. فالكنيسة في سرّ المعموديَّة تلد في المسيح إنساناً جديداً على صورة الله في البر وقداسة الحق. والكنيسة في سرّ الإفخارستيَّا تربطنا وتوحِّدنا وتثبِّتنا في المسيح. فكيف يمكن أن نولد في المسيح ونثبُت فيه بدون الكنيسة؟

- **رسالة الكنيسة هي تكميل رسالة المسيح**

فقبل أن ينطلق المسيح إلى الآب، خاطب الكنيسة في شخص الرُّسُل القدِّيسين، لكي يربط الكنيسة به رباطاً لا يمكن فصل عُراه فيما بعد، فيقول للكنيسة في شخص الرُّسُل القدِّيسين:

«دُفع إليَّ كلُّ سُلطان **في السَّماء وعلى الأرض**، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأُمم، وعمِّدوهم باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس، **وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به**، وها أنا معكم كلَّ الأيام إلى انقضاء الدَّهر، آمين» (متى ٢٠-١٨:٢٨).

«كما أرسلني الآب، أُرسلكم أنا» (يوحنَّا ٢١:٢٠).

«الذي يسمع منكم يسمع مني، والذي يُرذلكم يُرذلني، والذي يُرذلني يُرذل الذي أرسلني» (لوقا ١٦:١٠).

« خيرٌ لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي، ولكن إن ذهبتُ (إلى الآب) أُرسله إليكم ... **إنَّ لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأمَّا متى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق**، لأنه لا يتكلَّم من نفسه، بل كلُّ ما يسمع يتكلَّم به، ويخبركم بأمور آتية. **ذاك يمجِّدُني، لأنه يأخذ ممَّا لي ويخبركم**. كلُّ ما للآب هو لي. لهذا قلتُ إنه يأخذ ممَّا لي ويخبركم» (يوحنَّا ١٦:٧، ١٢-١٥).

واضحٌ هنا أنَّ رسالة الكنيسة هي تكميل رسالة المسيح، تماماً كما أكمل المسيح رسالته التي أرسله الآب من أجلها، حتى إلى موت الصَّليب، حين قال الرَّب مخاطباً الآب: «أنا مجَّدتُك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته» (يوحنَّا ٤:١٧). فهل يأتي يومٌ تُعلن فيه الكنيسة للمسيح عن كمال إرساليَّتها، كما أعلن المسيح للآب عن كمال إرساليَّته؟ إنَّ هذا يكون فقط، حين تُمجِّد الكنيسة المسيح، والمسيح وحدَه. كما مجَّد المسيح الآب الذي أرسله.

- تكلَّم المسيح عن الآب كثيراً في خدمته، والآيات الآتية هي مثال لذلك، فلا نقلِّل من الحديث عن المسيح في كنيسته.

«الحق الحق أقول لكم: **لا يقدر** الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلاَّ ما ينظر الآب يعمل. لأنَّ مهما عمل ذاك، فهذا يعمله الابن كذلك» (يوحنَّا ١٩:٥)

«أنا **لا أقدر** أن أفعل من نفسي شيئاً ... لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني» (يوحنَّا ٣٠:٥).

«قد نزلت من السَّماء، ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني. وهذه هي مشيئة الآب الذي أرسلني: أن كل ما

٢٦- رسالة فصحيَّة ١٠:٩ *N.P.N.F.* 257

٢٧- رسالة فصحيَّة ٨:٩ *N. P. N. F.* 526

أعطاني لا أتلف منه شيئاً، بل أقيمه في اليَوم الأخير» (يوحنَّا ٦:٣٨، ٣٩).
«تعليمي ليس لي، بل للذي أرسلني» (يوحنَّا ٧:١٦).
«من يتكلَّم من نفسه يطلب مجد نفسه، وأمَّا من يطلب مجد الذي أرسله، فهو صادق وليس فيه ظلم» (يوحنَّا ٧:١٨).
«من نفسي لم آت، بل الذي أرسلني هو حق الذي أنتم لستم تعرفونه. أنا أعرفه لأني منه، وهو أرسلني» (يوحنَّا ٧:٢٨، ٢٩).
«لست أفعل شيئاً من نفسي، بل أتكلم بهذا كما علمني أبي. والذي أرسلني هو معي، و لم يتركني الآب وحدي، لأني في كل حين أفعل ما يرضيه» (يوحنَّا ٨:٢٨، ٢٩).
«لم آت من نفسي، بل ذاك أرسلني» (يوحنَّا ٨:٤٢).
«الأعمال التي أنا أعلمها باسم أبي هي تشهد لي» (يوحنَّا ١٠:٢٥).
«فنادى يسوع وقال: الذي يؤمن بي، ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني. والذي يراني يرى الذي أرسلني» (يوحنَّا ١٢:٤٤).
«لأني لم أتكلم من نفسي، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصيَّة: ماذا أقول وبماذا أتكلم» (يوحنَّا ١٢:٤٩).
«الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي، لكن الآب الحال في هو يعمل الأعمال» (يوحنَّا ١٤:١٠).
«الكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني» (يوحنَّا ١٤:٢٤).

ونفس الأمر أيضاً عن الرُّوح القُدُس، الذي لا يتكلَّم من نفسه، بل كل ما يسمعه من الابن يخبر به.
«وأمَّا متى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلَّم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلَّم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني، لأنه يأخذ ممَّا لي ويخبركم. كل ما للآب هو لي، لهذا قلت: إنه يأخذ ممَّا لي ويخبركم» (يوحنَّا ١٦:١٣-١٥).

- **كلُّ شيء أخضعه الآب للمسيح، هو من أجل الكنيسة**

لكي نفهم هذا الأمر، علينا أن نربط بين القولَين التَّاليَين للقدِّيس بولس الرَّسول، فيقول:
«إذ عرَّفنا بسرِّ مشيئته حسب مسرَّته التي قصدها في نفسه، لتدبير ملء الأزمنة، **ليجمع كلَّ شيء في المسيح**، ما في السَّموات وما على الأرض في ذاك» (أفسس ١:٩، ١٠).
«أجلسه عن يمينه في السماويَّات، فوق كلِّ رئاسة وسلطان وقوَّة وسيادة وكلِّ اسم ... وأخضع كلَّ شيء تحت قدميه، وإيَّاه جعل رأساً فوق كلِّ شيء، **للكنيسة**» (أفسس ١:٢٠-٢٢).

ومن هذا نُدرك أنَّ جمع كلِّ شيء ما في السَّموات وما على الأرض في المسيح، هو من أجل الكنيسة، وهو أيضاً العمل المنوط بالكنيسة أن تكمِّله لحساب المسيح، باعتبارها جسده، وأنه هو الذي يدبِّرها ويقودها لتكميل مقاصد الله في ذلك. فكلُّ ما تعمله الكنيسة الآن، تعمله في المسيح، وبه، لأنها جسدُه، وهو رأسُها.

«أنتم فيَّ وأنا فيكم» (يوحنَّا ١٤:٢٠).
«فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غلاطية ٢:٢٠).
«المسيح فيكم رجاءُ المجد» (كولوسي ١:٢٧).

- **عمل الكنيسة لا يشمل الأرض فقط، بل يمتد ليشمل السَّماء أيضاً**

وهو ما يتَّضح من كلام القدِّيس بولس الرَّسول في رسالته إلى أهل أفسس. فيقول: «وأُنير الجميع في ما هو شركة السِّر المكتوم منذ الدُّهور في الله (الآب) خالق الجميع بيسوع المسيح، لكي يُعرَّف (هذا السِّر) الآن عند الرؤساء والسَّلاطين **في السَّماويَّات، بواسطة الكنيسة**، بحكمة الله المتنوِّعة، حسب قصد الدُّهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربِّنا» (أفسس ٣:٩-١١).

وتقول صلاة شُكر بعد التَّناول في القُدَّاس الكيرلُّسي: ''أنعمت لنا بالحريَّة، وأعطيتنا من هذا الطَّعام غير المائت السَّمائي، **وأظهرت لنا كلَّ هذا السِّر المخفي منذ الدُّهور والأجيال، لكي تظهر الآن حكمتك المتنوِّعة، للرؤساء والسَّلاطين في**

السَّماويَّات، من قِبَل الكنيسة''.

تعبير «أُنير الجميع» يعني أنَّ القدِّيس بولس قد حاز الاستنارة اللاَّزمة لمعرفة سرّ المسيح والكنيسة، فأصبح عليه مسؤوليَّة أن يُنير الجميع، لمعرفة هذا السِّر، لكي تصير للجميع شركة في هذا السِّر الذي كان مخفياً في الله، ثمَّ أعلنه لنا في المسيح.

فواضحٌ هنا – وبحسب قول الرِّسالة إلى أفسس – أنَّ للكنيسة دوراً هاماً وسرياً لدى السَّمائيِّين أيضاً كالأرضيِّين تماماً، للتعريف بقصد الله الذي كان منذ الدُّهور، الذي عرفنا (نحن) أنه جَمَعَ كلَّ شيء في المسيح **ما في السَّموات وما على الأرض**. وهكذا صار قصد الله أن تُصبح الكنيسة هي التَّعبير الكُلي والكامل للمسيح، والملء الذي له كلُّ ملء المسيح[٢٨].

- **بلوغ الكنيسة إلى ملء قامة المسيح يكون بوحدانية الإيمان والمحبَّة**

المسيح يبلغ بالكنيسة إلى ملء الكمال، أي كمال الكمال، يوم قام بالجسد من بين الأموات، وارتفع بجسده إلى أعلى السَّموات، لكي يُحضر الكنيسة فيه أمام الآب – أي في جسده المقام في ملء المجد – كنيسةً مجيدة، لا عيب فيها ولا غَضَن (غَضَن أي تجعُّد علامة الشَّيخوخة). يقول القدِّيس بولس الرَّسول في ذلك: «صعد أيضاً فوق جميع السَّموات، لكي يملأ الكُل ... لأجل تكميل القدِّيسين، لعمل الخدمة، لبُنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى **وحدانيَّة الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح**» (أفسس ٤:١٠-١٣).

إذا اجتمعت كلُّ كنائس العالم معاً، وعلى مدى العُصور، فهي تُحسب جسداً للمسيح، **ولكنَّها لا تُحسب أنها ملء قامة المسيح إلاَّ إذا بلغت وحدانيَّة الإيمان والمحبَّة**. وهذا نعرفه من الآيتين التَّاليتين للقدِّيس بولس الرَّسول، حيث يقول:
«إلى أن ننتهي جميعاً إلى **وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله**، إلى إنسان كامل، **إلى قياس قامة ملء المسيح**» (أفسس ٤:١٠-١٣).
«**صادقين في المحبَّة، ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح**» (أفسس ٤:١٥)[٢٩].

نقول في قانون الإيمان كلّ يوم: ''نؤمن ... بكنيسة **واحدة** مقدَّسة **جامعة** رسوليَّة''.
ونقول في بداية كل نهار: ''ربٌّ واحد، إيمانٌ واحد، معموديَّةٌ واحدة''.
ونقول في نهاية كلِّ ساعة من سواعي الصَّلاة: ''لنصل إلى اتحاد الإيمان''.

إنَّ الزَّمان الذي نعيشه الآن هو زمان الوحدة، لأنه الزَّمان الأخير. لكي تبلغ البشريَّة في النِّهاية إلى القَول: «إلـهٌ وآبٌ واحدٌ للكل، الذي في الكُل، وبالكُل، وفي كلِّكم» (أفسس ٤:٦). وهذا هو الدَّور الذي يطَّلع به الرُّوح القُدُس في الكنيسة في هذا الزَّمان الأخير، كما اطَّلع بدوره الواضح في بداية نشأة الكنيسة المسيحيَّة، ومنذ يوم الخمسين. فالوظيفة المنوط بالكنيسة تكميلها الآن، كما كانت رسالتها الأساسيَّة منذ البداية، هي أن تجمع كلَّ البشريَّة في وحدة كاملة في المسيح، لحساب الله «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مرقس ١٦:١٥). «لأنَّ انتظار الخليقة يتوقَّع استعلانَ أبناءِ الله ... لأنَّ الخليقة أيضاً ستُعتق من عبوديَّة الفساد إلى حريَّة مجد أولاد الله» (رومية ٨:١٩، ٢٠).

والقدِّيس بولس الرَّسول، حين يقول: «لأنه من عَرَفَ فكرَ الرَّب فيُعلِّمَه، وأمَّا نحن فلنا فكرُ المسيح» (١كورنثوس ٢:١١-١٦)، فهو يعني أنه إن كان المسيح هو رأس الكنيسة والكنيسة هي جسده، **فإنَّ فكر المسيح يلزم أن يكون هو نفسه إرادة الكنيسة**. وفكرُ المسيح هو أن تعترف كلُّ الخليقة به رباً، لكي يتمجَّد الله الآب به. هذا هو منتهى فكر المسيح الذي يلزم أن يكون هو إرادة الكنيسة. «فليكُن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضا، الذي **إذ كان في صورة الله**، لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله، لكنَّه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا في شبه النَّاس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصَّليب. لذلك رفَّعه الله أيضا وأعطاه اسما فوق كلِّ اسم، لكي تحنو باسم يسوع كلُّ رُكبة ممَّن في

٢٨– الأب متى المسكين، شرح الرِّسالة إلى أفسس للقدِّيس بولس الرَّسول، الطَّبعة الأولى ١٩٩٤م، ص ٢٤٥-٢٤٧
٢٩– نفس المرجع، ص ٢٧

السَّماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كلٌّ لسان أنَّ يسوعَ المسيح هو ربٌّ، لمجد الله الآب» (فيلبي ٢:٥-١١).

- يقول الشَّهيد إغناطيوس:

[أنتم تعلمون أن الله لا يسكن حيثما يملك الانقسام والغضب، ولكن الرَّب يغفر لمن يتوبون **بشرط أن تقودهم توبتهم إلى الوحدة مع الله، ومع مجمع الأُسقُف** ... أرجوكم ألا تأتوا عملاً بروح الخصام بل بحسب تعليم المسيح] (فيلادلفيا ٨).

ويقول الأنبا أنطونيوس:

[ليكن هذا الكلام -يا أحبائي- ظاهراً لكم: **إنَّ كل المجتمعين (في حياة الشَّركة) إذا لم يكونوا قلباً واحداً، يجلبون على أنفسهم الحروب، ويصنعون لهم دينونة**] (الرِّسالة ٣:١).

مدخلٌ للحديث عن العقائد الإيمانيَّة

• إنَّ اللاَّهوت عند آبائنا لم يكن ينفصل قط عن العبادة الكنسيَّة. بل كانت العبادة الكنسيَّة نفسها هي خير شارح للاَّهوت، إذ كانت العبادة للمسيح في كنيسته، عبادة حارة بالرُّوح، مدركة لمعنى حضور الله في بيته، وأنه هو وحده صاحب البيت، وهو وحده الذي يلزم له المجد والإكرام والتَّسبيح والبَرَكَة. ويرى البابا أثناسيوس أنَّ المعرفة اللاَّهوتيَّة الحقَّة، تمتزج بالضَّرورة بروح التَّسبيح والتَّمجيد، وتقديم العبادة اللاَّئقة بالثَّالوث.

وبرغم الشُّروحات التي قدَّمها آباء الكنيسة عن الثَّالوث القدُّوس، والعلاقة بين الآب والابن والرُّوح القُدُس، وعن تجسُّد الكلمة، واتحاد اللاَّهوت بالنَّاسوت في شخص السيِّد المسيح ... الخ إلاَّ أنهم اجتهدوا في التحذير من الخوض في فحص هذه الأمور بدون حدود. إذ قدَّم الآباء تفاسيرهم بكلِّ خشوع ووقار، معترفين بأنهم يجتهدون لاستيضاح هذه الأسرار، ولكنَّهم لن يستطيعوا سبر عمقها اللاَّمتناهي.

ومن المعروف أنَّ كتاب ''تجسُّد الكلمة'' للبابا أثناسيوس الرَّسولي، يُعتبر نموذجاً في علم اللاَّهوت المسيحي. حيث يراه علماء اللاَّهوت بحثاً لاهوتياً حديثاً، برغم مرور مئات السِّنين على كتابته، بل وأكثر حداثة من أيِّ بحث لاهوتي في جميع الأجيال السَّابقة وحتى الآن. ويتسحَّب هذا الأمر أيضاً على كتاب ''ضدَّ الأريوسيِّين''.

وهذان السِّفران كما قال شاف Schaff في كتابه Nicene Christianity (في صفحة ٨٢) هما أوَّل مجهود علمي في المسيحيَّة عن بعض العقائد الأساسيَّة المتعلِّقة بالله والعالم، والخطيئة والفداء. ويمكن اعتبارهما الفاكهة النَّاضجة للبراهين الإيجابيَّة في الكنيسة الأرثوذكسيَّة، وذلك بعد كتاب "المبادئ" للعلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م).

وأوردُ فيما يلي بعضاً من أقوال بعض آباء الكنيسة، ولاسيَّما البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م).

يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[إنَّ هؤلاء الذين يُناظرون ويتباحثون في ... أين يكون الله، وكيف يكون الله، وبأي طبيعة يقوم الآب؟ مثل هذه التَّساؤلات تُعتبر لا دينيَّة **ولن تُزيد الإنسان إلاَّ جهالة فيما يختص بالله**. كذلك فإنه يَخرُج على القانون، كلُّ من يجازف في فحص كيفيَّة ولادة ابن الله] (ضدَّ الأريوسيِّين ٢:٣٦).

[الله ليس مثلَ الإنسان، حتى يجرؤ أحد أن يسأل عنه أسئلة بشريَّة][1].

[لأنَّ هذا الذي سُلِّم إلينا بواسطة الإيمان، لا يجوز لنا أن نقيِّمه بمقاييس الحكمة البشريَّة بل بسمع الإيمان. لأنه أيُّ عقل يمكنه أن **يفسِّر بإحكام**، الأمورَ التي تعلو على الطَّبيعة المخلوقة؟ وأيُّ سمع يمكنه أن يُدرك الأشياء التي لا يسوغ للبشر أن يسمعوها أو أن ينطقوا بها؟ لأنَّ ما سمعه بولس فقد تكلَّم به. أمَّا عن الله نفسه فيقول: «ما أبعد طرقه عن الاستقصاء لأنَّ من عرف فكر الرَّب، أو من صار له مشيراً» (رومية ١١ : ٢٣، ٢٤). وإبراهيم لم يُقحم نفسه بفضول، ولم يباحث من تكلَّم معه بل «آمن فحسب له براً» (رومية ٤ : ٣). وعلى هذا النَّحو أيضاً دُعي موسى «خادماً أميناً» (عبرانيِّين ٣ : ٥)][2].

١- رسائل القدِّيس أثناسيوس عن الرُّوح القُدُس، ١:١٥

٢- نفس المرجع، ١:١٧

[الألوهة لا تُسلَّم لنا بواسطة براهين كلاميَّة، **بل بالإيمان مع التَّفكير بتقوى ووقار**. فإن كان بولس قد كرز بصليب المُخلِّص «لا بكلام الحكمة بل ببرهان الرُّوح والقوَّة» (١كورنثوس ٢ : ٤) وقد سمع في الفردوس «كلمات لا يُنطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلَّم بها» (٢كورنثوس ١٢ : ٤)، فمَن يستطيع أن يتكلَّم عن الثَّالوث القدُّوس نفسه؟

ومع ذلك، فيمكنُنا أن نعالج هذه الصُّعوبة، أولاً بالإيمان، وبعد ذلك باستعمال ... أمثلة ... (مثل) الصُّورة والشُّعاع، والينبوع والنَّهر، والجوهر والرَّسم ... لأنَّ الكتاب الإلهي، لكي يعالج عجزَنا عن شرح وفهم هذه المعاني بالكلمات، فقد أعطانا مثل هذه الأمثلة، حتى بسبب عدم إيمان هؤلاء المتجاسرين، يمكنُنا أن نعرض بأكثر وضوح، وأن نتكلَّم بدون التَّعرُّض لخطر (الضَّلال)، وأن نفكِّر بطريقة مشروعة، وأن نؤمن بقداسة واحدة مستمدَّة من الآب بالابن في الرُّوح القُدُس][٣].

والقدِّيس الأُسقُف سرابيون عندما سأل البابا أثناسيوس عن معنى التَّجديف على الرُّوح القُدُس، أجابه بقوله:

[أمَّا بخصوص كلمات الإنجيل التي نبَّهتني إليها في خطابك، فإنني بضمير صالح (١بطرس ٣ : ١٦) أرجوك أن تغفر لي. إنني أتهيَّب الاقترابُ من كلمات الإنجيل، لأنَّ انشغالي الشَّديد في البحث عن معناها، سيؤدِّي إلى عدم قُدرتي على الوصول إلى معنى كلمات الإنجيل العميقة. ولهذا السَّبب وحده ظننتُ أنني سوف أتجاوز عن سؤالك واكتفي بما كتبتُ عن الرُّوح القُدُس من قبل. ولكن حتى لا تُرغمني على الكتابة مرَّة أُخرى في نفس الموضوع، **ضغطتُ على نفسي لكي أكتب القليل الذي أفهمه والذي تعلَّمته**. ولو وصلتُ إلى إيضاح الموضوع، فسوف تشعر أنت بالرِّضا، **أمَّا إذا اخفقنا، فسوف لا تلومنا لأنك تعلم حُسن قصدنا بل وضعفنا أيضاً**][٤].

وأمَّا القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م) – على سبيل المثال – فيقول:

[لا تجر وراء فحص غير المفحوص. فأنتَ لن تبلُغ كشفَه ... فإذا لم ترعو واخترت العناد، فسوف يسخرُ النَّاسُ منك، أو بالحري يبكون على جسارتك ... **آمن فقط بالمكتوب، ولا تجر وراء ما لم يُكتب لك**][٥].

ويقول أيضاً:

[المجوس يسجدون له، والمسيحيُّون يتجادلون: كيف يصير الله في الجسد؟ وماهيَّة هذا الجسد؟ وإن كان اقتنى لنفسه إنساناً كاملاً أو غير كامل...؟! لنصمُت في كنيسة الله أمام الأمور الفائقة! ولنمجِّد حقائق إيماننا، **ولا نفتش بالزِّيادة عمَّا يجب توقيره في صمت!**][٦].

ويقول القدِّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م):

[كما أنَّ عظمتَه تفوق الحدود، هكذا صلاحَهُ أيضاً لا يُنطَق به] (ضدَّ الهرطقات ٤:٢٠:٥، ٦).

ويفتتح القدِّيس أنبا أنطونيوس رسالته الثَّالثة عشرة بقوله:

[تعلمون، يا أحبائي بالرَّب، أنَّ كلَّ خليقة ناطقة، رجلاً كان أو امرأة، فآلة (أي خاصِّية) المحبَّة كائنة فيه وتتحرَّك لكلا الجهتَين: لقبول الإلهيَّات أو الجسدانيَّات (قارن رومية ٨:٥). ولأجل أنَّ اللاَّهوتيَّة هي فيكم، فأنا أحبُّكم بكلِّ قلبي وروحي، لاقتنائكم الله فيكم، وقد صرتم عندي في محلٍّ عظيم.

وأنا دائماً أطلب من إلهي لأجلكم، أن تنمو في قلوبكم الإلهيَّات بمحبته، **وأن يكشف لكم عِظم سرائره التي لا يمكنُني أن أعبِّر عنها بلساني؛ لأنها في غاية الرِّفعة والعظمة، وليست مثل التي لهذا الدَّهر**. وهي لا تُكشَف

٣- نفس المرجع، ١:٢٠

٤- نفس المرجع، ٤:٨

٥- عظة ضدَّ الذين يقولون بافتراء أننا نعبد ثلاثة آلهة.

Adversus eus qui per calumniam dicunt dici a nobis trés deos, *PG* 31, 1493.

6- *PG* 31, 1472-1473.

للأنفس غير الطَّاهرة، بل للذين طهَّروا قلوبَهم من كلِّ النَّجاسات ومن أعمال هذا الدَّهر الزَّائل. هؤلاء هم الذين أبغضوا العالم، حتى نفوسَهم. وحملوا الصَّليب. وتبعوا الرَّب في كلِّ شيء. وعملوا بإرادته.

فهؤلاء حلَّت فيهم اللاَّهوتيَّة، وأعطتهم حلاوةً وفرحاً بالله. وهذا الفرح يُغْنِي النُّفوس ويجعلها تنمو بزيادة. وكما أنَّ الأشجار إن لم تشرب من طبيعة الماء لا يمكنها أن تنمو؛ فهكذا النَّفس إذا لم تقبل الفرح السَّمائي لا يمكنها أن تنمو وتصعد إلى العلاء. أمَّا النُّفوس التي قبلت الفرح السَّمائي، فهي التي تستطيع أن تنمو إلى العلاء؛ لأنها قد حفظت ما قُلناه سابقا، وانكشفت لها أسرار ملكوت السَّموات وهي في هذا الجسد؛ ووجدت الدالَّة أمام الله في كلِّ شيء، وكمَّل لها جميع طلباتها. والآن، يا أحبائي المكرَّمين، هذه هي طلبتي دائماً: **أن تبلغوا إلى هذا الحد، وتعرفوا وتعلموا غنى ملكوت الله الذى لا يُقاس ولا نهاية له]** (الرِّسالة ١٣:١، ٢).

ومن أجل ذلك فقد شحنت الكنيسة المقدَّسة كلَّ إيمانها في عبادتها اللِّيتورجيَّة، حتى يتغلل هذا الإيمان في نفوس بنيها إيماناً مرتَّلاً معاشاً، بدون شروحات كثيرة، وهي الشُّروحات التي ربما على كثرتها، لا تؤتي ثمارها في شرح الإيمان.
- نقول في الكنيسة بكل بساطة: ''أنت ابن الله. آمنَّا بك، لأنك أتيت وخلَّصتنا''.

والشواهد التَّالية، هي دليل على أنَّ أصحاب المعرفة والعلم وحُكماء النَّاموسِ، لم يستطيعوا أن يدركوا الله. وأمَّا البسطاء الذي قبلوا الله بإيمان في حياتهم، فهم فقط الذين عرفوا الرَّب. فنقرأ:
(يوحنَّا ٧:١٤-١٨ ، ٣١، ٣٢، ٤٥-٤٩). و(يوحنَّا ٨:٢٤، ٢٥، ٣٠، ٤٣-٤٧). و(يوحنَّا ٩:١٦، ٢٤، ٢٥-٤١).

وفيما يلي شرحٌ موجز يوضِّح لنا كيف أنَّ العبادة اللِّيتورجيَّة في الكنيسة، هي توصيل للإيمان المسيحي أي الإيمان الرَّسولي، كحقيقة حيَّة مُعاشه بدون تحليل أو شرح، وكرازة بالثَّالوث القدُّوس، والخلق والتَّجسُّد والميلاد من الله، والفداء، وحياة الدَّهر الآتي.

(١)

الثَّالوث القدُّوس هو محور عبادتنا اللِّيتورجيَّة[١]

بسجود وتقديس وتمجيد وإكرام

إشعياء ٤٨:١١ ، ٦٦:٢٣ ؛ حزقيال ٤٦:٣ ؛ مزمور ٨٦:٩، ١٠ ؛ ملاخي ١:٦ ؛ نحميا ٩:٦

عبرانيِّين ٢:٩ ؛ ١تيموثاوس ١:١٧ ، ٦:١٦ ؛ ٢بطرس ١:١٧ ؛ يوحنَّا ٤:٢٣، ٢٤ ؛ رؤيا ٤:٨-١١ ، ٥:١٣، ٧:٩-١٢ ، ١٥:٤

• مقدِّمة:

نبدأ كلَّ صلواتنا اللِّيتورجيَّة بقولنا: ''**باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس الإله الواحد**''. ثمَّ نردِّد أقدم صلاة ليتورجيَّة بعد الصَّلاة الرَّبيَّة، لا تخلو منها العبادة اللِّيتورجيَّة في أيَّة كنيسة تقليديَّة في الشَّرق أو الغرب، وهي: ''**المجد للآب والابن والرُّوح القُدُس، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدُّهور، آمين**''. ويتكرَّر ترتيل هذه الذُّكصا كثيراً على مدى صلواتنا اللِّيتورجيَّة، بالتَّناوب مع صلاة ليتورجيَّة أُخرى، هي: ''**نسجد لك أيها المسيح، مع أبيك الصَّالح، والرُّوح القُدُس، لأنك أتيت وخلَّصتنا**''.

• فكيف تبدأ صلوات القُدَّاس الإلهي تحديداً، وكيف تنتهي؟

نصوص ليتورجيَّة في بدء خدمة القُدَّاس الإلهي

القُدَّاس الباسيلي ....

يبدأ القُدَّاس الإلهي بترتيل الشَّعب كلِّه: ''هلليلويا''، ''سبِّحوا الله''.

فيقول الكاهن:

"**مجداً وإكراماً، إكراماً ومجداً** للثَّالوث القدُّوس الآب والابن والرُّوح القُدُس. سلاماً وبنياناً لكنيسة الله المقدَّسة ...''.

''باسم الآب والابن والرُّوح القُدُس الإله الواحد آمين''.

"**مباركٌ الله الآب**[٢] ضابط الكُل، آمين''.

"**مباركٌ ابنُه الوحيد** يسوعُ المسيح ربُّنا، آمين''.

"**مباركٌ الرُّوح القُدُس** المعزِّي، آمين''.

فيقول الشَّماس مجيباً عن الجزء الأوَّل من قول الكاهن السَّابق ذكره:

''واحدٌ هو **الآب القدُّوس**. واحدٌ هو **الابن القدُّوس**. واحدٌ هو **الرُّوح القُدُس**. آمين''.

ويقول مجيباً عن الجزء الثَّاني منه:

١- كلمة ''ليتورجيَّة'' تعني خدمة شعبيَّة، أي خدمة كنسيَّة يشترك فيها الشَّعب، وهي خدمة تشمل جميع أنواع العبادات الطَّقسيَّة في الكنيسة. وإنَّ تسمية القُدَّاس الإلهي بلفظ ''ليتورجيَّة'' فهو تقليد بيزنطي عُرف في الكنيسة منذ أيام القدِّيس يوحنَّا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م). وأمَّا عند الأقباط، فإنَّ الاسم التَّقليدي للقُدَّاس هو συνάξις (سيناكسيس) ومنه الاسم القبطي ⲥⲩⲛⲁⲍ (سيناكس) أي: ''اجتماع'' وذلك منذ أيام البابا أثناسيوس الرَّسولي (٣٢٨-٣٧٣م). ولأن كلمة ''سيناكس'' في المصطلح الكنسي تعني أي اجتماع لعبادة أو صلاة جمهوريَّة، فقد ميَّز الأقباط بين ''السِّيناكس الكبير - ϯⲛⲓϣϯ ⲛ̀ⲥⲩⲛⲁⲍ'' ويعني تحديداً (الأنافورا) أي قُدَّاس المؤمنين، والذي يبدأ من عند قول الكاهن: ''الرَّب مع جميكم''، ويتبعه بالضَّرورة طقس تقديم الحَمَل. وبين ''السِّيناكس الصَّغير - ϯⲕⲟⲩϫⲓ ⲛ̀ⲥⲩⲛⲁⲍ '' ويعني أي صلوات طقسيَّة أُخرى في الكنيسة، وهي صلوات رفع البُخور في عشيَّة وباكر، أو قُدَّاس الموعوظين، أو التَّسبحة اليوميَّة، أو صلوات السَّواعي.

٢- مباركة الإنسان للآب والابن والرُّوح القُدُس، تتلخَّص في قول بولس الرَّسول: «مبارَكٌ الله أبو ربِّنا يسوع المسيح، الذي بارَكنا بكلِّ بَرَكَة روحيَّة في السماويَّات في المسيح يسوع» (أفسس ١:٣). فمباركة الإنسان لله، تعني تسبيحَه وحمدَه وشكرَه والاعترافَ بفضله.

"**باركوا الرَّب** يا جميع الأُمم، **ولتباركه كافةُ الشُّعوبِ**، لأنَّ رحمته قد ثبتت علينا، وحقُّ الرَّب يدوم إلى الأبد''.

فيجيبُ الشَّعب:

"**المجد** للآب والابن والرُّوح القُدُس، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدُّهور آمين''.

- فهكذا يبدأ القُدَّاس الإلهي، بإعطاء المجد والإكرام والتَّقديس والبَرَكَة للثَّالوث القدُّوس.

نصوص ليتورجيَّة على مدى خدمة القُدَّاس الإلهي

وعلى مدى خدمة القُدَّاس الإلهي، تتكرَّر عبارات **المجد والكرامة والعظمة والسُّجود للثَّالوث القدُّوس**.

- ففي نهاية معظم صلواتنا اللِّيتورجيَّة، نقول مخاطبين الله الآب: ''بالنِّعمة والرأفة ومحبَّة البشر اللَّواتي لابنك الوحيد ربِّنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح، هذا الذي من قِبَله **المجد والكرامة والعزَّة ϩⲓⲧⲁⲓⲟ ⲡⲓ`ⲁⲙⲁϩⲓ ⲛⲉⲙ والسُّجود**، تليق بك معه، ومع الرُّوح القُدُس، المحيي المساوي لك''.
- وفي أوشيَّة البُخور نقول: ''لأنه **مباركٌ ومملوء مجداً** اسمك القدُّوس، أيها الآب والابن والرُّوح القُدُس. الآن ...''.
- في صلاة الاستعداد: ''... أنت الذي نُرسل لك إلى فوق، **المجد والإكرام والسُّجود**، أيها الآب والابن والرُّوح القُدُس، الآن ...''.
- في صلاة التَّحليل: ''وأنت الذي نرسل لك إلى فوق، **المجد والإكرام والسُّجود**، مع أبيك الصَّالح والرُّوح القُدُس المحيي، المساوي لك ...''.
- نقول في أوشيَّة القرابين: ''اذكر يارِبُّ صعائدَ وقرابينَ وشكرَ الذين يقرِّبون، **كرامةً ومجداً لاسمك القدُّوس**''.
- وفي صلاة الحجاب: ''هذا السِّر الذي دبَّرته لنا خلاصاً ... ومحواً لخطايانا وغفراناً لتكاسلنا، **ومجداً وإكراماً** لاسمك القدُّوس''.
- في قراءة الإنجيل نقول: ''أنت الذي **ينبغي لك التَّمجيد** بصوت واحد مع كل أحد. **والمجد والإكرام والعظمة والسُّجود**، مع أبيك الصَّالح، والرُّوح القُدُس، المحيي المساوي لك ...''.
- في تحليل الابن: ''أنت هو إلهنا، **والمجد والكرامة والعزَّة والسُّجود**، تليق بك مع أبيك الصَّالح والرُّوح القُدُس، المحيي المساوي لك ...''.
- في تحليل الخُدَّام: ''لأنه **مباركٌ ومملوءٌ مجداً** اسمُك القدُّوس، أيها الآب والابن والرُّوح القُدُس، الآن ...''.
- وفي صلاة القسمة: ''أيها السيِّد الرَّبُّ إلهُنا العظيمُ الأبدي، **والمتعجَّبُ منه بالمجد''**.

نصوص ليتورجيَّة في نهاية خدمة القُدَّاس الإلهي

تنتهي خدمة القُدَّاس الإلهي، بنفس عبارات التَّمجيد والبَرَكَة والسُّجود التي بدأت بها خدمة القُدَّاس الإلهي.

فيقول الكاهن:

''**مباركٌ الرَّبٌّ يسوعُ المسيح ابنُ الله، وقدُّوسٌ الرُّوحُ القُدُس** آمين''.

يقول الشَّعب:

''واحدٌ هو الآب **القدُّوس**، واحدٌ هو **الابن القدُّوس**، واحدٌ هو **الرُّوح القُدُس**. آمين''.

وبعد الاعتراف الأخير يقول الكاهن: ''**إنَّ كلَّ مجد وكلَّ كرامة وكلَّ سجود** كلَّ حين، يليق بالثَّالوث القدُّوس، الآب والابن والرُّوح القُدُس، الآن ...''.

فيقول الشَّعب:

''**المجد لك** يارِبُّ. **المجد لك''**.

القُدَّاس الغريغوري .....

- ''**مجداً لك، ولابنك الوحيد، والرُّوح القُدُس**، المحيي المساوي لك''.
- ''أنت الذي نُرسل لك إلى فوق، **المجدَ والإكرامَ والسُّجودَ**، مع أبيك الصَّالح والرُّوح القُدُس، المحيي المساوي لك''.
- ''**المجدُ والكرامةُ والعظمةُ والسُّجودُ**، مع أبيك الصَّالح، والرُّوح القُدُس المحيي المساوي لك''.
- ''أنت الذي ينبغي لك **المُلكُ والسُّلطانُ والسُّجودُ**، ولأبيك الصَّالح والرُّوح القُدُس''.
- ''أنت الذي ينبغي لك **التَّمجيدُ** بصوت واحد من كلِّ أحد، **والمجدُ والإكرامُ والعظمةُ والسُّجودُ**، مع أبيك الصَّالح والرُّوح القُدُس المحيي، المساوي لك ...''.
- ''**محبَّة** الله **الآب، ونعمة الابن الوحيد** ربِّنا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح، و**شركة وموهبة الرُّوح القُدُس**''.
- ''**بنعمتك** (أيها الابن) **ومسرَّة أبيك** الصَّالح **وفعل روحك** القدُّوس ...''.

القُدَّاس الكيرلُّسي .....

- ''بالحقيقة أنت الذي ينبغي لك كلُّ **المجد والعظمة والعزَّة والسُّلطان** قبل كلِّ الدُّهور، أيها الآب والابن والرُّوح القُدُس''.

صلوات القسمة .....

- ''ونحن أيضاً **نسجد للثَّالوث الأقدس**، ونسبِّحه قائلين: **قدُّوسٌ الله الآب** ضابط الكُل. آمين هلليلويا. **قدُّوسٌ ابنه الوحيد** يسوع المسيح ربنا. آمين هلليلويا. **قدُّوسٌ الرُّوح القُدُس** البارقليط. آمين هلليلويا''.

* * *

البند الأوَّل: التَّمجيد والإكرام اللاَّئقان بالله الآب والابن والرُّوح القُدُس في عبادته في الكنيسة

هذا هو لاهوت كنيسة الإسكندريَّة، الذي يمزج بين التَّعليم والكرازة بالثَّالوث القدُّوس الآب والابن والرُّوح القُدُس، وبين عبادة الثَّالوث بسجود وتمجيد وتطويب وإكرام، على مستوى شعبي بتسبيح وصلاة.

يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:

[... أيُّ كائن أقرب إلى الله من الشَّاروبيم والسِّيرافيم؟ ومع ذلك فإنهم لا يشخصون إليه ولا يمسُّون الأرض بأرجلهم أمامه، ولا يكشفون وجوههم، بل يغطُّونها، ويقدِّمون التَّسابيح بشفاه لا تفتُر، **ولا يفعلون شيئاً آخر غير تمجيد الطَّبيعة الإلهيَّة الفائقة** بتسبحة الثَّلاثة تقديسات][٣].

• فهل نُقدِّم لله في بيته هذه الكرامة اللاَّئقة بالآب والابن والرُّوح القُدُس؟ وهل ندرك أنَّ عدم إدراكنا لكرامة الله في بيته، هو احتقارٌ لله؟ يقول الرَّب بفم ملاخي النَّبي: «إن كنتُ أنا أباً فأين كرامتي؟ وإن كنتُ سيداً، فأين هيبتي؟ قال لكم ربُّ الجنود. أيها الكهنة المحتقرون اسمي ... ترضوا وجه الله فيتراءف علينا ... لأنَّ اسمي عظيمٌ بين الأُمم، وفي كلِّ مكان يُقرَّب لاسمي بخورٌ وتقدمةٌ طاهرة. لأنَّ اسمي عظيم بين الأُمم قال ربُ الجنود ... لأني أنا ملكٌ عظيم قال ربُ الجنود، واسمي مهيبٌ بين الأُمم» (ملاخي ١:٦-١٤).

ويقول الرَّب بفم إشعياء النَّبي:

«من أجل نفسي، من أجل نفسي أفعل. لأنه كيف يُدنَّس اسمي؟ و**كرامتي لا أعطيها لآخر**» (إشعياء ٤٨:١١).

«قال الرَّب: لأنَّ هذا الشَّعب قد اقترب إليَّ بفمه، وأكرمني بشفتيه، وأمَّا قلبه فبعيد عني، فباطلاً يعبدونني، وهم يعلِّمون تعاليم ووصايا النَّاس، لذلك أنا مزمع أن أفرِّق remove هذا الشَّعب، سأنزعهم، وأُبيد حكمة الحكيم، وأُخفي فهم الفهيم» (إشعياء ٢٩:١٣، ١٤ سبعينيَّة).

٣- مقالة في تفسير لوقا ١٠:٢٢- فقرة ٦ *NPNF*. 90 *PG* 25, 217

«الآن يقول الرَّب: حاشا لي، فإني أُكرم الذين يُكرمونني، والذين يحتقرونني يصغُرون» (١صموئيل ٢:٣٠).

وإذ شهد يسوع أنه «**ليس لنبي كرامة في وطنه**» (يوحنَّا ٤:٤٤). قال مثل الكرم والكرَّامين (متى ٢١:٣٣-الخ)، فيقول الآب صاحب الكنيسة، وصاحب البيت وحده: «**أُرسل إليهم ابني لعلَّهم يهابونه ... فقتلوه!!!**».

• هو يوجد في الكنيسة خادم خدم فيها وتعب أكثر من بولس الرَّسول الذي تعب أكثر من جميع الرُّسُل؟ بولس الرَّسول هذا، الذي أُخذ إلى السَّماء، ورأى أموراً لا يسوغ الحديث عنها، الذي ظهر له الرَّب شخصياً ودعاه لخدمته، اسمعه يقول مخاطباً مخدوميه: «نحن جهَّال من أجل المسيح وأمَّا أنتم فحكماء في المسيح. نحن ضعفاء وأمَّا أنتم فأقوياء. **أنتم مكرَّمون، وأمَّا نحن فلا بكرامة**» (١كورنثوس ٤:١٠). فأين نحن من هذه الخدمة؟

«مخافة الرَّب أدبٌ وحكمة. وقبل الكرامة التَّواضع» (أمثال ١٥:٣٣).
«ثواب التَّواضع ومخافة الرَّب، هو غنى وكرامة وحياة» (أمثال ٢٢:٤).

البند الثَّاني: وحدانيَّة الثَّالوث القدُّوس

يقول البابا أثناسيوس الرَّسولي:
[هناك لاهوتٌ واحد في ثالوث، وهناك **مجدٌ واحد للثَّالوث القدُّوس**][٤].

ويتحدَّث البابا أثناسيوس الرَّسولي عن الشَّركة الكاملة بين أقانيم الثَّالوث القدُّوس، فيقول:
[الثَّالوث القدُّوس المبارك هو غير منقسم وهو متَّحد في ذاته. حيثما يُذكر الآب، يُذكر ضمناً كلمته والرُّوح القدس الذي هو في الابن. وإذا ذُكر الابن، فإنَّ الآب في الابن، والرُّوح القُدُس ليس خارجَ الكلمة. **لأنَّ من الآب نعمةٌ واحدة تتم بالابن في الرُّوح القُدُس**. وهناك لاهوت واحد، ويوجد إله واحد «على الكُل وبالكُل وفي الكُل» (أفسس ٤:٦)][٥].

ويقول أيضاً:
[لنتأمَّل في تقليد الكنيسة الجامعة وتعاليمها وإيمانها منذ البدء التي أعطاها الرَّب وكرز بها الرُّسُل وحفظها الآباء. على هذه تأسَّست الكنيسة، ومن يسقط منها لا يُعتبر مسيحيًّا[٦] ... إنَّ هناك ثالوثاً مقدَّساً وكاملاً ومعترَفاً به أنه الله الآبُ والابنُ والرُّوحُ القُدُس ... ولا يتكوَّن من خالق ومخلوق، ولكن الكُل يَبني ويَخلِق، وهو مساو وغيرُ منقسم في الطَّبيعة، وفعلُهُ واحد. **فالآبُ بالكلمة في الرُّوح القُدُس يعملُ كلَّ الأشياء، وهكذا تُحفظ وحدة الثَّالوث القدُّوس سالمة. وهكذا يُكرز بإله واحد في الكنيسة**، «الذي على الكُل وبالكُل وفي الكُل» (أف ٤ : ٦). "على الكُل" كأب وكبدء وكينبوع، "وبالكُل" أي بالكلمة، "وفي الكُل" أي في الرُّوح القُدُس. هو ثالوث ليس فقط بالاسم وصيغة الكلام، بل بالحق والوجود الفعلي. لأنَّه كما أنَّ الآب هو الكائن الذي يكون، هكذا أيضاً الكلمة هو الكائن والإله على الكُل. والرُّوح القُدُس ليس بدون وجود حقيقي. بل هو يوجد وله كيان فعلي. **وليس بأقل من هؤلاء الثلاثة تعتقد الكنيسة الجامعة**[٧]][٨].

ويقول أيضاً:
[... إيمان المسيحيِّين يعرف الثَّالوث المبارَك على أنه غيرُ قابل للتغيُّر، وأنه كاملٌ، وأنه أزليٌّ هكذا وعلى

٤- ضد الأريوسيِّين ١:١٨ *PG* 26, 48.40-41
٥- رسائل القدِّيس أثناسيوس عن الرُّوح القُدُس، ١:١٤ *PG* 26, 565.16-23
6- *PG* 26, 593.43-596.3
7- *PG* 26, 596.3-22
٨- رسائل القدِّيس أثناسيوس عن الرُّوح القُدُس، ١:٢٨

الدَّوام][٩].

[إله واحد هو الآب، كائنٌ بذاته، إذ هو فوق الكُل، وظاهرٌ في الابن حيث أنه يتخلل كلَّ الأشياء بواسطته، وظاهرٌ في الرُّوح، حيث أنه فيه يعمل في كلِّ الأشياء بواسطة الكلمة. لأننا بهذا نعترف أنَّ الله واحدٌ في ثالوث][١٠].

- ويربط البابا أثناسيوس بين أقانيم الثَّالوث ربطاً بديعاً لكي يبيِّن وحدتها الكاملة، فيقول:

[... **الآب يُدعى ينبوعاً ونوراً** لأنه يقول: «تركوني أنا **ينبوع** المياه الحيَّة» (إرميا ٢ : ١٣). وأيضاً في باروخ: «لماذا أنت يا إسرائيل في أرض أعدائك؟ لقد تركتَ **ينبوعَ** الحكمة» (باروخ ٣ : ١٠-١٢)، وأيضاً حسب يوحنا «إلهُنا **نور**» (١يو ١ : ٥).

وأمَّا الابن فمن جهة علاقته بالينبوع يُدعى نهراً: «**نهر** الله ملآن ماء» (مزمور ٦٤ : ٩)، ومن جهة علاقته بالنُّور يدعى إشعاعاً – إذ يقول بولس: «الذي هو **شُعاع** مجده ورسم جوهره» (عبرانيِّين ١ : ٣).

ومن ثمَّ، حيث أنَّ الآب نور والابن هو شعاعه ... يمكننا أن نرى في الابن أيضاً "الرُّوح" الذي بواسطته نستنير «لكي يعطيكم روحَ الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرةً عيونُ قلوبكم» (أفسس ١:١٧، ١٨). ولكن حينما نستنير بالرُّوح، فالمسيح هو الذي يكون منيراً إيَّانا في الرُّوح، لأنه يقول: «كان النُّور الحقيقي الذي يُنير كلَّ إنسان، آتياً إلى العالم» (يوحنَّا ١:٩).

وأيضاً، حيث أنَّ **الآب ينبوع، والابن يُسمَّى نهراً**، لذلك يُقال عنَّا إننا نشرب الرُّوح. لأنه مكتوب: «جميعُنا سُقينا روحاً واحداً" (١كورنثوس ١٢ : ١٣). ولكن حينما نشرب الرُّوح، فإننا نشرب المسيح: «لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحيَّة تابعتهم، والصَّخرة كانت المسيح» (١كورنثوس ١٠ : ٤).

وأيضاً، لأنَّ **المسيح ابن حقيقي**، فإننا عندما نأخذ الرُّوح، «نصير أبناء»، لأن الكتاب يقول: «إذ لم تأخذوا روح العبوديَّة أيضاً للخوف بل أخذتم روح التَّبني» (رومية ٨ : ١٥). وإن كنَّا بالرُّوح نصير أبناءً، فواضح أننا في المسيح ندعى أولادُ الله لأنَّ: «كلَّ الذين قبلوه، أعطاهم سُلطاناً أن يصيروا أولاد الله» (يوحنا ١ : ١٢)

وأيضاً، كما أنَّ **الآب هو** «**الحكيمُ الوحيد**»، كما قال الرَّسول بولس، فإن **الابن هو** «**حكمته**»: «المسيح قوَّة الله وحكمة الله» (١كورنثوس ١ : ٢٤). وحيث أنَّ ابنَ الله هو الحكمة وابنَ الحكمة، فإننا إذ نأخذ روحَ الحكمة، نقتني الابن، وبه نصيرُ حكماء. لأنه هكذا هو مكتوب في المزمور المائة والخامس والأربعين: «الرَّبُّ يحلُّ المأسورين، الرَّبُّ يُحكِّم العميان» (مزمور ١٤٥ : ٧، ٨س).

وحينما يعطىَ لنا الرُّوح القُدُس كما قال المُخلِّص: «اقبلوا الرُّوح القُدُس»، فإنَّ الله يكون فينا. لأنه هكذا كَتَبَ يوحنَّا: «إن أحبَّ بعضُنا بعضاً، فالله يثبت فينا. بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا، لأنه قد أعطانا من روحه» (١يوحنا ٤ : ١٢، ١٣). وحينما يكون الله فينا، يكون الابن أيضاً فينا. لأنَّ الابن نفسه قال: «الآب وأنا نأتي ونصنع عنده منزلاً» (يوحنا ١٤ : ٢٣).

وأيضاً، حيث أنَّ **الابن هو الحياة**، لأنه يقول: «أنا هو الحياة» (يوحنا ١٤ : ٦)، يُقال عنَّا إنه يتمُّ إحياؤنا بالرُّوح، لأنه يقول: «الذي أقام المسيح من بين الأموات سيحيي أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم» (رومية ٨ : ١١). وحينما يتم إحياؤنا بالرُّوح، فالمسيح نفسه يحيا فينا، لأنَّ الرَّسول يقول: «مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غلاطية ٢ : ٢٠). وأيضاً، قال الابن: إنَّ الأعمال التي كان يعملها هو، كان الآب يعملها. لأنه يقول: «الآب الحال فيَّ هو يعمل أعماله. صدقوني أني في الآب والآب فيَّ، وإلاَّ فصدقوني

٩- ضد الأريوسيِّين ١:١٨ *PG* 26, 49.23-25

١٠- ضد الأريوسيِّين ٣:١٥ *PG* 26, 353.17-22

بسبب الأعمال عينها» (يوحنا ١٤ : ١٠-١٢).

وهكذا أيضاً قال بولس: إنَّ الأعمال التي كان يعملها بقوة الرُّوح، كانت هي أعمال المسيح: «لأني لا أجسر أن أتكلم عن شيء ممَّا لم يفعله المسيح بواسطتي، لإطاعة الأُمم بالقول والفعل بقوَّة آيات وعجائب، بقوَّة الـرُّوح القُدُس» (رومية ١٥ : ١٨، ١٩).

وإذاً، حيث أنه توجد مثل هذه المماثلة وهذه الوحدة في الثَّالوث القدُّوس، فمن يمكنه أن يفصل الابن عـن الآب أو يفصل الرُّوح عن الابن، أو عن الآب نفسه؟ ومن تصل به الجرأة حتى يقول إنَّ أقانيم الثالوث غير متماثلة فيما بينها، ومختلفة في الطَّبيعة، أو أنَّ الابن من جوهر غريب عن الآب، أو أنَّ الرُّوح غريب عن الابن؟][١١].

[فإن كان أحدٌ أيضاً يسأل ويبحث قائلاً: كيف حينما يوجد الرُّوح فينا، يُقال إنَّ الابن فينا؟ وحينمـا يكون الابن فينا، فكيف يُقال إنَّ الآب فينا؟ وعندما يكون الثَّالوث بكليَّته ثالوثاً، فكيف يُفهم أنه في أحـد الأقانيم؟ أو لماذا حينما يكون (الأقنوم) فينا، يُقال إنَّ الثَّالوث موجود فينا؟ **فعلى هذا (الـذي يسـأل) أن يفصل أولاً الشُّعاع عن النُّور، أو يفصل الحكمة عن الحكيم، أو فليخبرنا كيف تكون هذه الأمـور (أي اتحاد الشُّعاع بالنُّور، والحكمة بالحكيم)؟**][١٢].

ويقول البابا أثناسيوس الرَّسولي أيضاً:

[إذا كان **الله ينبوعاً ونوراً وأباً**، فليس من الجائز القول بأن الينبوع جاف أو أنَّ النُّور بلا شعاع أو أنَّ الله بلا كلمة، لئلا يكون الله غير حكيم، وغير عاقل، وبلا شعاع. وإذاً، فحيث أنَّ الآب أزلي، فبالضَّرورة يكون الابـن أيضاً أزلياً، لأنَّ كلَّ ما نفطنه عن الآب فهو بلا شك في الابن أيضاً، لأنَّ الرَّب نفسه يقول، «كلُّ ما للآب فهو لي» (يوحنَّا ١٦:١٦)، وكلُّ «ما هو لي هو للآب» (يوحنَّا ١٧ : ١٠). **فالآب أزلي، والابن هو أيضاً أزلي**، لأنَّ «به قد صُنعت الدُّهور» (عبرانيِّين ١:٢). **والآب هو «الكائن» والابن أيضاً هو «الكائن** على الكُل إلهاً مباركـاً إلى الأبد أمين» (رومية ٩ : ٥). فليس من الصَّواب القول عن الآب: ''كان هناك زمن لم يكن فيه موجوداً''. ولـيس من الصَّواب القول عن الابن: ''كان هناك زمن لم يكن فيه موجوداً''. **الآب ضابطُ الكُل، والابن أيضاً ضـابطُ الكُل**، كما يقول يوحنَّا: «هذا ما يقوله الكائن والذي كان والذي يأتي، الضَّابط الكل» (رؤيا ١ : ٨).

الآب نورٌ، والابن شعاعٌ ونورٌ حقيقي. الآب إله حقيقي، والابن إله حقيقي. لأنَّ يوحنَّا كَتَبَ هكذا: «فنحن في الحق في ابنه يسوع المسيح، هذا هو الاله الحق والحياة الأبدية» (١يوحنا ٥ : ٢٠). **وبوجه عام، ليس هناك شيء ممَّا هـو للآب لا يكون للابن.** ولذلك فالابن هو في الآب، والآب هو في الابن (يوحنَّا ١٤ : ١٠)، لأنَّ كلَّ ما هو للآب يكون في الابن، وأيضاً كلُّ هذا يُعتبر في الآب. وعلى هذا النَّحو نفهم القول: «أنا والآب واحد» (يوحنَّا ١٠ : ٣٠). لأنـه لا توجد أشياء في الآب، وأخرى مغايرة في الابن، بل إنَّ كلَّ ما هو في الآب هو في الابن أيضاً، وحيث أن مـا تـراه في الآب تراه في الابن، فإنك تُدركُ حسناً ذلك القول: «من رآني فقد رأى الآب» (يوحنَّا ١٤ : ٩)][١٣].

* * *

• إذاً، حين نُصلِّي إلى الابن، فنحن في ذات الوقت نُصلِّي إلى الآب أيضاً. وهكذا حين نُصلِّي إلى الرُّوح القُدُس، فنحن نُصلِّي للآب والابن أيضاً، لأنَّ الرُّوحَ القُدُس هو روحُ الآب وروحُ الابن أيضاً «ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روحَ ابنـه إلى قلوبكم صارخاً يا أبَّا الآب» (غلاطية ٤:٦)، ذلك لأنَّه روحُ الابن، ليس فقط لأنَّ الابن يعطيه ويُرسله، بل لأنَّ الروح هـو الذي يحقِّق حياة المسيح فينا.

١١- رسائل القدِّيس أثناسيوس عن الرُّوح القُدُس، ١:١٩، ٢٠

١٢- نفس المرجع، ١:١٩، ٢٠ *PG* 26, 573.28-577.5

١٣- نفس المرجع، ٢:٢ *PG* 26, 609.23-612.13